مناقشات

حول ملف الادب التونسي

الى الاستاذ رجاء النقاش

بقلم نور الدين صمود

كلفت مجلة الاداب السيد رجاء النقاش بنقد الشعر الذي نشر في العدد الرابع من سنتها الحالية ضمن (ملف الادب التونسي) فوقف من اصحاب تلك القصائد موقف الاستاذ من تلاميذه المبتدئين .. اذ اشتمل (توجيهه) على كثير من النصائح الابوية المتعالية امثال : كان عليه ان يفعل كذا وكذا ... ولو تخيل كذا وكذا لكان احسن... واتمنى ان يهتم اكثر واكثر بكذا وكذا ... وان هذا الشاعر لديه كذا وكذا ... فليتقدم .... الخ الخ ....

والى جانب ذلك فان نقده لم يخل من الكلام الذي لا يليق ان يصدر عن رجل الشارع فضلا عن اديب ناقد مفكر ... مثل قوله : نثرية رديئة ... ومبتذلة .. وكلام سخيف ... وفكر سخيف ... والسوقية .. والابتذال الفكري الخ الخ .

ويبدو ان السيد الناقد قد شعر بعدم لياقه بعض هذه الالفاظ فقال : (ومعذرة لهذه الالفاظ القاسيه) فلعل السيد الناقد يقصد : الالفاظ البذيئة او غير اللائقة (اما القسوة فلها مكان اخر) . وانا لا اريد ان اناقشه في نقده فهو حر فيما يرى ، فله ان لا يرضى عن بعض او جميع ما نشر في ذلك الملف من شعر ، وله ان يقول عنه ما يشاء من الكلام (القاسي) او اللين ... فليست لدينا مقاييس ثابتة في ميدان (الذوق) اذ يمكن له ان يكتب الصفحات الطوال من الكلام (القاسي) عن تلك القصائد ثم يمكن ان يكتب عنها غيره الصفحات الطوال من الكلام (اللين) .

لكن هناك ـ من حسن الحظ ـ الناحية العلمية التي لا يمكن ان يتنافش فيها اثنان دون الوصول الى نتيجة حاسمة . فقد قال السيد رجاء النقاش عن قصيدتي (في دروب الازمنة العادمة) في جملة ما قال ـ « ... كما ان لها اخطاء عروضية واضحة مثل قول الشاعر :

لم ناخذ من اوروبا
الا لبس الميني جيب
او لبس المكسي جيب .. الخ ...

وقال كلاما شبيها بذلك من مقطع آخر نقله محرفا .

فاذا كنت لا اريد ان اناقشه في بقية الآراء التقييمية الذوقية حول محتوى القصيدة فلانني لا استطيع ان اتحكم في ذوقه وفهمه... لكنني استطيع ان اناقشه في المسائل العلمية ، واطالبه بان يبين لي اين هذه الاخطاء العروضية الواضحة ؟ سواء في المقطع الذي ذكره او في بقية مقاطع القصيدة .

واكبر الظن ان السيد رجاء النقاش سيسكت ولا يجيب لانه لن يجد هذا الخطأ الذي توهمه ... واذا تبين ـ بسكوته ـ عدم صحة رايه في هذه الناحية العلمية فاني استطيع ان اعتبر ان جميع آرائه الاخرى غير صحيحة ايضا قياسا على هذا الراي الذي يمكن اخضاعه للعلم .

وارجو ان يذكر هذه الاخطاء العروضية بطريقة التقطيع العروضي وان يعينها تعيينا مضبوطا وان لا يجيب بطريقة اجمالية كما فعل في نقده

وقبل ان اترك السيد الناقد ليبحث عن هذه الاخطاء العروضية اقول له : ان القصيدة مكتوبة على تفعيلة (الخبب) وهي (فعلن) بتحريك (العين) او بتسكينها مثل قول شاعرنا مصطفى خريف : العهد هلم نجدده ... فالدهر قد انبسطت يده فعلن فعلن فعلن ... فعلن فعلن فعلن فعلن .

هذه طريقة من الطرق التي يكتب عليها (الخبب) في الشعر القديم الى جانب (فاعلن) التي يجوز فيها حذف الالف فقط . وبما ان (الخبب) قد تداركه الاخفش على استاذه الخليل فانه لم تقع دراسته دراسة كافية تبعا لقلة النماذج التي كانت بين يدي الاخفش (ثم جاء العصر الحديث فاذا نحن نحدث تنويعا جديدا لم يقع فيه اسلافنا ذلك اننا نحول (فعلن) الى (فاعلْ) وليس في الشعراء ، فيما اعلم ، من يرتكب هذا سواي ، بدأت فيه منذ اول قصيدة حرة كتبتها سنة ١٩٤٧ ومضيت فيه حتى الان . هذا مثلا مطلع قصيدتي « لعنة الزمن » من الخبب :

كان المغرب لون ذبيح
والافق كآبة مجروح

ووزن الشطر الاول فيه هو :

فعلن فاعل فاعل فعل

وقد جرت اشطر كثيرة في القصيدة على هذا النسق خلافا للقاعدة العروضية) (١)

وتقر الشاعرة بانها وقعت في هذا الخروج عن القاعدة دون تعمد منها وبعد تساؤل ادركت ان ذلك تطوير سرت اليه وهي غافلة ... ونقول في النهاية انه ليس من حقها ان تثبت تفعيلة جديدة في بحر عربي ضبط منذ عصور طويلة ... كما انه ليس من حق اي شاعر ان يفعل ذلك . انما يقر القواعد القبول العام (٢)

واحب ان ابشر الشاعرة نازك الملائكة بان شاعرنا مصطفى خريف رحمه الله كتب سنة ١٩٦١ قصيدة طويلة سماها (الملحمة) اجاز لنفسه فيها هذا الجواز وهو (فاعل) الذي لم يقره العروضيون القدماء ، ونجد هذا (الزحاف الجائز) في اكثر من عشرة ابيات مثل قوله :

بنزرت قريبا ستطهر
وفضاء الصحراء يحرر ...
دمنا في بنزرت مفدر ...
وثعالب قامت تتنمر (٣) ... الخ الخ

وبديهي ان الشاعر خريف لم يكتب قصيدته هذه ولم يجز فيها هذا الزحاف تحت تأثير ملاحظة الشاعرة نازك الملائكة لان كتابها وصل الى تونس بعد كتابته لقصيدته باكثر من سنتين (٤) وقد اطلع عليه بعد ذلك واعرب لي عن اعجابه به .

والى الشاعرة نازك الملائكة والى الاستاذ رجاء النقاش اقول ايضا ان الاشطر الاربعة التي اختارها الناقد من قصيدة جمال الدين حمدي (قبضة الحديد) وقال عنها : (وقد تاثرت جدا بقول الشاعر يخاطب

---

(١) قضايا الشعر المعاصر . لنازك الملائكة طبعة اولى سنة ١٩٦٢ ـ ص ١٠٩ والقصيدة المشار اليها من ديوانها قرارة الموجة طبعة ثانية ١٩٦٠.

(٢) المرجع السابق ـ ص ١١٠

(٣) ديوان شوق وذوق ص ٢٨٥

(٤) ارسل الي الصديق الدكتور رشاد الامام نسخة من قضايا الشعر المعاصر لنازك من بيروت بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٩٦٣ ووصلت الى تونس في ٢٦/ ٤/ ١٩٦٣ بطلب مني لان نسخ هذا الكتاب لم تصل الى تونس .

قلمـه :)

اكتب ، لا تابه بنزيفي
... جرحي قد ألفته يدي
اكتب ، ان نفدت اوراقي
ما احلى الخط على الكبد

ان هذا الشاعر الصديق قد كتب كعادته بسليقته ، لا بالاعتماد على العروض ، واستعمل في هذين البيتين (فاعل) اربع مرات دون ان يرى في ذلك اي خلل ، مثله في ذلك مثل نازك ومصطفى خريف ..

واحب ان ازف هذه البشرى الى الشاعرة الناقدة نازك الملائكة التي قالت ان الشعراء القدماء لم يستعملوا في شعرهم (فاعل) وانها اول من استعملها في الشعر الحديث ، فاقول لها ، والى الاستاذ الناقد رجاء النقاش ايضا ، بان شاعرنا التونسي ابا الحسن الحصري القيرواني صاحب الفضل الاكبر على بحر الخبب او المتدارك بقصيدة :

يا ليل الصب متى غده اقيام الساعة موعده

التي عارضها : شوقي والشابي ، وبيرم التونسي وجعفر ماجد واسماعيل صبري وبشارة الخوري ورشيد ايوب ومسعود سماحة والامير نسيب ارسلان وقيصر المعلوف وفوزي المعلوف وخير الدين الزركلي وولي الدين يكن والزهاوي وشطرها عيسى اسكندر المعلوف .. وغيرهم وغيرهم ....

اقول ان الحصري قد استعمل (فاعل) هذه في قصيدة اخرى على الخبب طالعها :

اعن الاغريض ام البرد ضحك المتعجب من جلدي

فقال :

يا هاروتيّ الطرف ترى
فعلن فعلن فعلن فعلن
كم لك نفثات في العقد (٥)
فاعل فعلن فعلن فعلن

فارجو ان تطمئن الشاعرة الناقدة الى وجود هذا الجواز منذ عهد الحصري المتوفي سنة ٤٨٨ هـ اي منذ القرن الخامس للهجرة .

وهكذا يتضح ان دخول (فاعل) في الخبب امر طبيعي ، وعدم وجوده بكثرة في الشعر القديم عائد الى انه لم يكتب شعر كثير عليه لذلك اهمله الخليل ... ولو توفرت النماذج لاكتشف الخليل والاخفش وغيرهما وجود (فاعل) في هذا البحر .

ومن ناحية اخرى فانه لا تكاد تخلو قصيدة (خببية) حديثة من دخول (فاعل) فيها سواء كانت القصيدة (عمودية ام حرة) . فنزار قباني نشر في الخمسينات ديوانه (قصائد) وكان مطلع (القصيدة الشريرة) قوله :

مطر مطـر وحبيبتهـا معهـا ولتشريـن نـواح
فعلن فعلن فعلـن فعلن فعلن فاعـل فعلـن

وقد اكثر الشاعر صلاح عبد الصبور من استعمال (فاعل) هذه خاصة في مسرحيته (الحلاج) وقد اشار بدوره الى ذلك في المقدمة او في المؤخرة لكنه كان يقع في زحاف غير مقبول وهو انه يجعل اثر (فاعل) (فعلن) بتحريك العين وهكذا يجتمع خمسة متحركات وهو امر لا يجوز في العروض ولا يقبله الذوق الموسيقي ...

وعندما نشرت ، منذ بضعة اشهر ، في مجلة الفكر التونسية قصيدتي : (من احرق روما ؟) نبهت الى وجود (فاعل) في هذه القصيدة وهممت بان افعل عند نشر قصيدتي (في دروب الازمنة القادمة) لكني قلت في نفسي ان معظم ، اوكل ، شعراء (الاداب) يستعملون هذه التفعيلة فلا فائدة في هذا التنبيه (٦) .

فلست ادري بعد هذا كله لماذا احس السيد الناقد في قصيدتي بخلل عروضي واضح ... فهل كان يحس به في قصائد الاخرين وسكت عنه ام ماذا ؟

هذا اذا كانت الاخطاء العروضية التي يشير اليها هي التي اطنبت الحديث عنها .... اما اذا كانت غيرها فارجو ان اعرفها عن طريق السيد الناقد بطريقة واضحة جلية .

وملاحظة اخيرة : احب ان احيط السيد الناقد علما بان صاحب هذا الرد او التوضيح كان قد الف كتابين في العروض اولهما بعنوان (تبسيط العروض) صدر ١٩٦٩ وثانيهما بعنوان (العروض المختصر) صدر ١٩٧١ وقد قررت وزارة التربية القومية ادراج الكتاب الاخير ضمن الكتب المدرسية لتدريس هذه المادة في المعاهد الثانوية .

كما احب ان احيطه علما بان الاستاذ العروسي المطوي الذي رماه بكثرة الاخطاء اللغوية في قصيدته ، من خريجي الزيتونة ومن اساتذتها المرموقين في عهد ازدهارها واذا كان في قصيدته شيء من الخروج عن الاساليب الموروثة فذلك لا يعزى الى عجز او عدم معرفة باللغة ، كما تبادر الى ذهنه ... بل هو يتعمد ذلك لاسباب ليس هنا مجال ذكرها .

وقل مثل ذلك بالنسبة للشاعر جعفر ماجد الذي لم يفهم السيد الناقد ابعاد وخلفيات قصيدته وظن انه شاعر يكتب عن ضحايا نهر الميكونغ بصورة مباشرة ... في حين انه يتخذ هذا الموضوع مطية لتناول قضايا موجودة في بلادنا جميعا ... ولا يريد ان يهتم بقصة اي واحد من هؤلاء الضحايا بصورة مباشرة ... وهو في غنى عن هذه الاقتراحات التي تفضل بها السيد الناقد ، واضيف بان الشاعر جعفر ماجد يدرس الادب والنقد في الجامعة التونسية ....

وليست هذه التوضيحات حول هؤلاء الاشخاص الثلاثة للرفع من قيمتهم ... فالشعر ابعد ما يكون عن هذه الاعتبارات .

وآمل ان يكون قد وضحت ، بهذه السطور ، بعض ما كان يدور في خلدي اثناء الكتابة .

والى اللقاء مع جواب السيد الناقد رجاء النقاش *

تونس **نور الدين صمود**

---

* اثر الانتهاء من كتابة هذا الرد اطلعت على تعليق الدكتور سهيل ادريس على قصائد الامسية الاولى من مهرجانات المربد فاذا به يقول معلقا على قصيدة العاصمي ، ص ١١٣ العدد ٥ : « ولعل الشاعرة ـ التي نحييها هنا ـ ان تعمل على تجنب بعض الاخطاء اللغوية في مثل قولها :

حزت مآساة الاعوام العشر أياديهم ، فقات اعينهم وصحيحها طبعا (الاعوام العشرة) فاذا قيل ان البيت ينكسر ، قلنا انه ينصلح بتعديل يسير : حزت مآساة الاعوام العشرة أيديهم ، فقات اعينهم كما ان قولها :

لما مات ابي كان لزاما ان استدعي لولائم الحزن .

هو غير مستقيم ، ويستقيم بحذف اداة التعريف من (الحزن) فيصبح :

لما مات ابي كان لزاما ان استدعي لولائم حزن .

ذلك ما قاله الدكتور سهيل ادريس

واذا تأملنا هذا الشعر قبل الاصلاح وبعده نجده قد اشتمل على (فاعل) مرتين في السطر الاول وثلاث مرات في السطر الثاني ولم يشعر الدكتور سهيل ادريس بأي خلل في الوزن واقدم على اصلاح الوزن في السطر الثاني رغم انه لم يعرف بكتابة الشعر ودفعه حسه الموسيقي السليم الى ذلك الاصلاح . فما رأي السيد الناقد بعد هذا كله ..!!

---

(٥) ابو الحسن الحصري القيرواني ـ جمع وتحقيق وتعليق الاستاذين محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى . نشر مكتبة المنار ـ تونس سنة ١٩٦٣ .

(٦) نبهت الى هذا الجواز في كتابي تبسيط العروض

تعليق على « التجربة الشعرية الجديدة » !

بقلم فرانسوا باسيلي

رغم ان الاجابة تكاد ان تكون معروفة ، وهي « اننا ، على الاغلب ، سنظل نفعل هذا الى الابد . » فان الاسئلة السخيفة لا تكف عن ان تطرح نفسها علينا باستمرار :

ـ متى سنكف عن الندب والبكاء على حزيران والتمسح به في اشعارنا وقصصنا ؟

ـ متى سنكف عن الثرثرة و « نفعل » شيئا ؟

ـ متى سنكف عن دفن رؤوسنا في الرمال واللهو باوهام طائشة تلهينا عن مواجهة العالم الحقيقي ومعايشة الزمن الحقيقي ؟

ـ ... . متى ؟.. متى ؟.. متى ؟

واساهم باضافة سؤال سخيف آخر الى قائمة الاسئلة السخيفة :

ـ متى نضع الشعر ، والنقد ، والموضوعية المجردة ، فوق العلاقات الشخصية والمجاملات المقززه ، او التي يجب ان تكون مقززه ؟

هذه الاسئلة سخيفة لان اجاباتها ، كما قلت ، تكاد ان تكون معروفة .

ومناسبة اضافة السؤال الاخير هو نشر تلك « التجربة الشعرية الجديدة » للاستاذ محمود امين العالم في عدد الاداب الاخير (السادس)

نشر هذه التجربة الشعرية الجديدة في الاداب هو ، باختصار شديد ، فجيعة . فجيعة للشعر ، وللشعراء ، وللاستاذ محمود امين العالم ، وللاداب ، وللقراء جميعا . وليست الفجيعة فقط في انه لو ارسلت هذه « المادة الشعرية » للاداب ، او لاية مجلة ادبية اخرى، موقع عليها باسم غير معروف ، مثل « عبد الصمد الاحادي » مثلا ، فان المحرر لن يحتاج سوى لقراءة بضعة سطور ليعرف ان الكاتب مبتدىء يحاول ممارسة الشعر وان انتاجه لم ينضج بعد ، ولا يكون مصير مادته الشعرية سوى الاهمال ... بل الفجيعة الاتعس هي انه بمجرد ان صرح الاستاذ العالم بانه كتب هذه التجربة الجديدة ، ودخل هذا التصريح الى « الدوامة » الادبية ، فانه يصبح من المستحيل منع هذا التصريح من التحول الى « وجود » يدور في الدوامة متخذا مكانا وزمانا وحجما ووزنا .. فينشر في مجلة ادبية ، ويتسابق النقاد الاصدقاء في تفسيره وشرحه ، ثم يصدر في ديوان ، وتعقد لنقده الندوات الاذاعية .. وكل هذا بسبب ان الذي كتب هذه التجربة الشعرية هو الاستاذ محمود امين العالم وليس عبد الصمد الاحادي . وهذه الكارثة هي السبب في اضافتي للسؤال الاخير في قائمة الاسئلة السخيفه . لقد قال لنا الاستاذ العالم في مقدمته لتجربته كيف انه اطلع عليها الدكتور محمد النويهي . ورأينا كيف ان ناقدا وباحثا ادبيا كبيرا كالدكتور النويهي يضع المجاملة فوق الشعر ويقول للاستاذ العالم: هذا ايقاع موجي ! ثم ينصحه بان لا ينشرها في ديوان دفعة واحدة والاكتفاء بنشرها قصيدة قصيدة ، بدلا من النصيحة التي كان مفروضا ان يقدمها له ، وهي ان ينسى محاولة الاشعار تماما . ويقلع عنها الى الابد . (افضل كثيرا اتهام الدكتور النويهي بمجاملة صديقه على حساب الشعر ، على اتهامه بانه يرى فعلا ان هذه الكتابة لها قيمة ادبية) ثم رأينا كيف ان مجلة ادبية « كالاداب » بكل ثقلها الادبي ، تقدم هذه المادة الشعرية بترحاب خاص ، تحت عنوان سخي جدا : « تجربة شعرية جديدة » ، طالبة من الشعراء والنقاد والقراء التعليق عليها (*) .

وهكذا نظل نريت على ظهور بعضنا بعضا ، متساهلين مجاملين مبتسمين . واضعين ادباءنا وشعراءنا وكتابنا الكبار فوق كل شعر وكل نقد وكل خطيئة . فما دام الكاتب او الشاعر قد أثبت عبقريته من قبل ، يصبح كل ما يكتبه مقدسا غير قابل للتشكيك او الطعن . يثبت الكاتب في بلادنا نفسه مرة واحدة . يستطيع بعدها ان يسترخي ويكتب لنا من موقعه المقدس . ليس عليه ان يغامر بنفسه في كل مرة يكتب فيها لنا ، نحن شعب طيب متسامح كريم ، لا نطلب الكثير من ادبائنا وفنانينا ، كل مسرحية جديدة يكتبها الحكيم هي مسرحية جيدة . قضية مسلم بها ومفروغ منها ، أمجنون انت حتى تظن ان مسرحيته « سوق الحمير » مثلا في منتهى الضحاله ؟! أمعقول ان يكتب صلاح عبد الصبور او فدوى طوقان قصيدة جديدة .. رديئة ؟! الواضح ان علاقاتنا بادبائنا الكبار هي بنفس نمط علاقاتنا بزعمائنا وانبيائنا .. تأليه وتنزيه وتطرف مرضي عاطفي مسكين . وانصياع كامل وغياب كامل للشك ، والملاحقة ، والاتهام . والحساب . هل يجب ان نتذكر ان الكاتب العبقري انسان ايضا ؟ وانه كما يخطىء في الحياة يخطىء في الادب . وان كل المبدعين في العالم وفي التاريخ لهم اعمال تستغرب لمدى تفاهتها بجانب اعمالهم التي تأسرنا عبقريتها ؟ لماذا اذن نتردد في ان نقول للاساذ العالم ببساطة وحب ان تجربته الشعرية الاخيرة غير موفقة وانه واضح انه ليس شاعرا . « وان هذا طبعا لا يغير من حقيقة انه كاتب كبير » . حتى هذه الجملة الاخيرة لا يجب ان نقولها له لانها يجب ان تكون بديهية . هل يتألم الاستاذ العالم اذا قلنا له هذا ؟ ربما . هذا طبعا يختلف من انسان لاخر . لكن الالم حقيقة من حقائق الحياة التي لا فرار منها . لماذا لا نواجهها بصدق في موقف كهذا ؟ هل نقدم الشعر ذبيحة لكي يظل رضانا عن بعضنا بعضا متبادلا وحارا ؟ يمكننا ان نفعل هذا بسهولة اذا كان هذا ما يلذ لنا . لكن كيف اذن نتباكى بعد ذلك على الفقر الابداعي لدينا وعلى ركاكة معظم ما نقرأه ونكتبه ، بجانب تزلفه وفقده للصدق . هل لنا حق بكاء انفسنا ؟

المشكلة هي ان تساهلنا مع انفسنا وتربيتنا على ظهور بعضنا لا يجعل العالم بالتالي يتساهل معنا ويربت على ظهرنا . كل ما يحدث اننا نظل مسترخين في خدر مجاملاتنا اللذيذة السهلة بينما يمرق العالم خاطفا حادا وقاسيا نحو المستقبل . وتزداد المسافة بيننا .. ويزداد الزمن . نحن في كارثة مستمرة . نفقد اراضينا باستمرار . نتقلص ونصغر في الحجم والوزن . هل نحتاج الى كارثة اعظم واتعس لكي نواجه انفسنا بقسوة وننطق كل شيء باسمه الحقيقي ؟ النثر الرديء هو نثر رديء هذا هو اسمه . وليس تجربة شعرية جديدة . لمجرد ان كاتبه هو محمود امين العالم . عبث ان احاول نقد ما كتبه الاستاذالعالم نقدا فنيا . النشرية والاطالة والتقرير والتصريحات والـ « ثم » والافكار المجردة و « يا للكارثة » و « يا للعار » .. و « يا للخجل » وعشرات التراكيب النثرية المجردة لا تمنح هذه الكتابة اية فرصة لاعتبارهـا شعرا . المسألة ليست مسألة وزن او تفعيلة او قافية كما يظن الاستاذ العالم . المسألة ان ما كتبه لا علاقة له بالشعر . فلماذا لم يقل له الدكتور النويهي ذلك ؟ لماذا لم تقله له « الاداب » ؟ سمعت مرة الاستاذ رجاء النقاش يشكو من انه على الاغلب سيخسر صداقة الاديب او الشاعر الكبير اذا هاجم عملا من اعمالها بقسوة . لا شك انه ليس معقولا ان يضطر الناقد الى معاداة ادباء وشعراء مجتمعه . فالى متى سنظل لا نعرف فرقا بين من ينقدنا ومن يكرهنا . الى متى نساوي بينهما في حساسية وطفولة ؟

متى سنشب عن المرافقة والانفعال ، ونختبر قسوة ولذة النقد الفني الخالص . والابداع الخالص ؟

متى ؟.. متى ؟.... متى ؟

ها اننا اعود الى ترديد المزيد من الاسئلة السخيفة التي بدأت بها الكتابة السخف يغمر كل شيء .

فرانسوا باسيلي

نيويورك

(*) نرجو الكاتب ان يعيد قراءة سطر التعليق الذي نشرناه مع « القصيدة » ... (الاداب)

نظرة في فكر المثقفين العرب

ـ تابع المنشور على الصفحة ١٤ ـ

سياسي له دوره الواضح وعلاقه الواضحه بالمجمع والدولة ،وحقوقه الدستورية الواضحة ، فقد ظل هذا النوع من المثقفين دون تأثير مباشر على الحياة العملية للناس رغم كثرة ما قدموه من تحليلات وما انقسموا اليه من اتجاهات .

واذا شئنا أن نحدد معنى آخر للمثقف ، فهو الانسان الذي تعلم الاسس النظريه والصياغاتالنجريدية للعقائد والقيمالموروثةوالتقليدية، والذي يعيش وسط الناس بعيدا عن الجهاز التنفيذي للدولة (في الظاهر) ، يمارس بقوة « علمه » تأثيرا مستمدا من قدرته على « الفتوى » أو « الافتاء » الذي يستند الى ما يؤمن به الناسبالعمل. هذا النوع من المثقف ، هو الذي يمارس قدرا ملحوظا من التأثير المباشر في « حياة » الناس ، لانه يستند الى ما هو قائم بالفعل في ضمائرهم وعقولهم ... والنموذج الاكثر وضوحا لهذا النوع من « المثقف » هو امام المسجد أو كاهن الكنيسة ، فقيه « الكتاب » أو مدرس الدين واللغه العربية أو واعظ الكنيسة في ايام الاحد ، الذي تلقى دراسة أزهريه ، أو تخرج من كليات اللاهوت المسيحية . انه باختصار المثقف الذي يستند الى العقيدة الدينية في فتواه ويستمد تأثيره منها .

*

ولكن الدولة الوطنية الجديدة ، دولة « الشعب » كله وتحالف قوى الشعب العاملة ، قد نبنت الطريق « الاشتراكي » لحل مشاكل التخلف ، وقدمت وثائقها النظرية التي تستخدم مصطلحات وتعبر عن أفكار ثورية مستمدة من التعاليم الليبرالية ومن الفلسفة العلمية ومن العقيدة الدينية في وقت واحد : تتحدث عن الاشتراكية وعن تحرير المرأة وعن اعتبار الاسرة لبنة اولى للمجتمع وعن حق الانسان في العمل وعن اعتبار العمل نفسه واجبا وشرفا ، وعن الاستناد الى العقائد الروحيه التي مجدت الانسان ، وعن وقوفها ضد الاستعمار وضد الاستغلال وعن حتمية الحل الاشتراكي وعن ضرورة التخطيط وسيادة القانون ومساواة الناس امام القضاء الحر وعن القوميةالعربية بوصفها العمق التاريخي للوطنية المصرية وبوصفها المصير الظافر لهذه الوطنية . وقد كان هذا الفكر تطويرا أصيلا لما ردده « المثقفون » اليساريون من النوع الاول من اتجاهاتهم الطبقية والقومية ، وفيالوقت نفسه كان هذا الفكر محاولة لاستيعاب وتطوير الفكر التقليدي الذي يستند اليه النوع الثاني . (ونؤجل قليلا الحديث عن نمو هذا الاتجاه الاخير وعوامل غلبته) .

قدمت « الدولة » الوطنية التي تعبر عن « الشعب » كلهفكرها ، وفي الوقت نفسه كانت هي الدولة التي يعمل المثقفون لديها ، بينما يكتبون تحليلاتهم ويختلفون في اتجاهاتهم ، ولذلك يندر أن نجد تحليلا واحدا من أي اتجاه لا يستخدم المصطلحات نفسها ولا يعلن انه المعبر عن الافكار نفسها . وأحسى أن أقول ان وظيفة اكثر هذه التحليلات الحقيقية تكاد تعود الى وظيفه المثقف قبل القرن التاسع عشر ،وظيفة « الماهر في التبرير وفي « تخفيف الصدمات » احيانا .

على كل هذا الاساس لا يمكن القول بأن أصحاب الاتجاه الديني في تحليل اسباب هزيمة ١٩٦٧ كانوا يكررون ما قاله الشيخ الامام محمد عبده ، أو أن « الليبراليين » قد كرروا ما قاله احمد لطفي السيد ، او ان العلمانيين قد رددوا ما قاله سلامة موسى .

ان اختلاف التركيب الاجتماعي والسياسي للمجتمع المصري ، واختلاف وضع الدولة وطبيعة علاقتها بالمجتمع ، واختلاف وضع المثقفين في علاقتهم بالتنظيم السياسي وبالدولة ذاتها ، واختلاف « الفكر » الذي تتبناه الدولة رسميا و « تدافع » عنه ، هذه التي قدمها « المثقفون » تحت العناوين العريضة نفسها للايديولوجيات القرن في ربعه الثالث ، حتى لو كان بوسعنا ان نصنف التحليلات التي قدمها « المثقفون » تحت العناوين العريضة نفسها للايديلوجيات الثلاث : الدينية والليبرالية والعلمانية .

*

● المفكر الليبرالياللاديني .

استنادا الى ما سبق نستطيع القول بأنه في الربع الاول منهذا القرن ، انقسم المفكرون المصريون الى ثلاثة اتجاهات ايديولوجيةرئيسية: الاتجاه الديني ، والاتجاه الليبرالي ، والاتجاهالعلماني . ولكن«الدولة المصرية » في ذلك الوقت لم تتحرك بدافع اتجاه واحد من هذه الاتجاهات ، وانما تحركت في الاتجاهات الثلاثة في وقت واحد ، فاصبحت ـ ويا للغرابة ـ دولة دينية تيوقراطية ، ليبرالية ،علمانية

رد على نقد

الانفتاح الرؤيوي على عالم الشعر ـ القصيدة ـ الذي يستطيعأن يأسر البعدين الشاقولي والافقي في طبيعة التجربة وحركتها ، يعتمد الانتشار الكاشف والسريع في اصقاع التجربة ، والرصد الحدسي للمخلوقات المتحركة بصورة كيفية ضمن ضابط الزمان والمكان الشعريين المقيسين قياسا نفسيا .

من هذا المنطلق استطيع ان ادعي ان قصيدتي « الصيف ودورة المنجل » لم تسلم كل مفاتيحها السرية للاستاذ شوقي خميس ، ليس نتيجة الانغلاق والعزلة ، بل نتيجة عدم التوازن والولوج الفوضوي وهذا بدوره يفضي الى أن رؤية الاستاذ شوقي خميس سارت على مستوى التسطيح أكثر من سيرها على مستوى الرؤية الهرمية ، مما يمكنني وضع ثلاث نقاط جوهرية ـ اعتقادا وليس يقينا ـ قد يكون لجميعها أو لبعضها الاثر في انحسار موج الرؤية الى درجة قريبة من التلاشي :

١ ـ السرعة في التناول نتيجة ظروف نفسية أو فيزيولوجية قد تكون مقنعة ذاتيا وغير مقنعة موضوعيا .

٢ ـ كثرة القصائد المدرجة والمختلفة اختلافا كليا أو نسبيا في الطبيعة .

٣ ـ التقيد بنظام الحيز المحدد للدراسة النقدية ـ سواء كان على صعيد الشعر أو القصة ـ وهذا الذي تربا الآداب ـ فياعتقادي ـ رئيسا واسرة تحرير ـ عنه .

أخلص من ذلك الى القول بأن قصيدتي « الصيف ودورة المنجل» تتحرك على ثلاثة محاور أشعر أن الناقد لم يتطرق منها الا لجزء من المحور الاول فقط .

ا ـ رفض الهزيمة من خلال الذات اللاقطة ، فيه شيء منالتعذيب لم يصل حد العقدة النفسية .

ب ـ المقارنة بين شفافية عدسة النخوة العربية في الاستجابة السريعة والحية ، في الماضي والتلكؤ في الاستجابة في العصرالحاضر مبررة بالظروف والفرص .

ج ـ الموقف العربي ـ كجزء ـ المتشنج من قضية المقاومةالعربية.

مع تحياتي الخالصة للاستاذ الناقد شوقي خميس .

حلب — محمود علي السعيد